

الاقتصادات السياسية للبحث في العلوم الاجتماعية في العالم العربي

حلقات دراسية (سمينار) من تنظيم: سيمون مانجون (جامعة اكس مارسيليا/المعهد الفرنسي للشرق الأدنى)، كانديس ريمون (المركز الوطني للبحث العلمي/المعهد الفرنسي للشرق الأدنى)، صبيح صبيح (معهد الدراسات حول العالم العربي والإسلامي)¹

الحجة العلمية للحلقات الدراسية

تخضع الأبحاث في مجال العلوم الاجتماعية² الى العديد من القيود. تعود بعض هذه القيود الى عوامل معرفية ومنهجية، بينما ترجع قيود أخرى الى ضعف استقلالية حقل البحث في العصر النيوليبرالي وتساعد السلطوية، اذ تعاضد اعتماده، في معظم الدول الغربية، على الحقل الاقتصادي والسياسي بفعل الإصلاحات المتبعة منذ العام ١٩٨٠ (دوفال وهيلبرون، 2006). أدى كل هذا الى تحولات عميقة في الشرط المؤسسي والاجتماعي للنشاط العلمي: تراجع التمويل الحكومي للعلوم الاجتماعية، مأسسة طرق التمويل عبر نهج المشاريع، انعدام الأمن الوظيفي لدى فرق البحث وازدياد الهشاشة والنزعة الفردانية في المسارات المهنية للباحثين، تحوّل الجامعات الى "شركات أكاديمية" بما تحمل الكلمة من معنى (شامبلار، 2020).

نلاحظ وجود ديناميكيات متشابهة في العالم العربي. ففي الوقت الذي تضخم فيه التعليم العالي، منذ ثمانينات القرن العشرين، وتزايدت أعداد الجامعات الخاصة، منذ فترة التسعينات، ازداد التهميش بحق العلوم الاجتماعية (بامية، 2015). النداءات الملحة لانضمام العالم العربي إلى "اقتصاد المعرفة" المعولم دفعت بدورها بربط البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية بحاجات اقتصاد السوق (أرفانينيس وحنفي، 2015). بموازاة ذلك، شجّع التدخل المكثف للمنظمات الدولية إلى تطور سوق هام للخبرة والخبراء بقصدّه العديد من الباحثين الجامعيين المحليين (قابنجي، 2010)، في الوقت الذي تزايدت فيه أعداد مراكز البحث المستقل، ومراكز صنع الاستراتيجيات (التك تانك) بالإضافة الى المنظمات غير الحكومية المتخصصة بفعل الحاجة الاجتماعية والسياسية المتزايدة.

ضمن هدفنا تبين تأثير هذه التحولات الاجتماعية والمؤسسية على العلوم الاجتماعية في العالم العربي، تعمل الحلقات الدراسية هذه (السمينار) على مساءلة "الاقتصادات السياسية للبحث" والتي تحدد اليوم شرط إنتاج المعارف. بتعبير الاقتصاد السياسي للبحث، صيغة استخدمها على وجه الخصوص أ. روا (2001) وج. ف. بايار (2013)، تشير إلى مجمل العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تحكم سوق النشاط المعرفي وتنظم إنتاج المعارف العلمية. يتعلق الأمر هنا بعرض حقول القوة التي تؤثر في هذه التشكيلات الاجتماعية والمؤسسية والتي يشارك في تكوينها مجموعة متعددة من الفاعلين الاجتماعيين، وذلك بهدف النقاط تأثيرات هذا التأطير لممارسات البحث ومسارته. بطبيعة الحال، تقدم الاقتصادات السياسية للبحث خصوصيات مميزة بين بلد وآخر في العالم العربي، وذلك بسبب المزايا الخاصة لكل مسار وطني: التاريخ الخاص بمنظومة التعليم العالي الوطني والبحث في كل بلد على حدة، والأنموذج السياسي والاقتصادي في البلد نفسه (والذي يحدد بخاصة الموقع الذي تحتله المؤسسات العامة والخاصة)، ودرجة التسلط أو الحرية في النظام القائم فيه، كلها عوامل تميز بين البلدان علينا أن نأخذها بالحسبان. إنّ دراسة مختلف الاقتصادات السياسية للبحث في العالم العربي تساهم في تحليل ما يمكن تسميته "عولمة العلوم" من قبل بلدان الجنوب (كليش، دومولان، كويت، 2017) مع الإضاءة – من خلال قطاع البحث – على بعض التحولات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية في مجتمعات ودول المنطقة.

يمكن تصور مجموعة من محاور التفكير والتي بدورها تحدد طبيعة المساهمات والمداخلات المنتظرة:

¹ الحلقات الدراسية المنوي عقدها في هذا السمينار هي متابعة لتفكير مشترك بدأ عام ٢٠١٩ من قبل ماري نوبل ابي باغي، كانديس ريمون، صبيح صبيح عبر اصدار دعوة لمقترحات بحثية لعدد خاص حول هذا الموضوع في مجلة علمية محكمة (<https://calenda.org/665878>). لاقت الدعوة حينها تجاوب قليل وكون الجوانب التي تعالجها أساسية ومثيرة للاهتمام، عملنا على إعادة طرحها هنا على صيغة حلقات دراسية (سمينار) على أمل ان يحفز هذا الشكل الجديد للطرح عددا أكبر من الباحثين لمعالجة الأسئلة المركزية المطروحة.

² نتصورها على نطاق واسع بأنها كل شكل من أشكال البحث يتبنى إجراء وأدوات علمية بهدف إنتاج معارف عن المجتمع مدعومة بمعطيات ميدانية إمبريقية.

التشكيلات المؤسساتية: كيف يتم تنظيم البحث في العلوم الاجتماعية في العالم العربي؟

يفرض تبين الاقتصادات السياسية الجديدة للبحث في العلوم الاجتماعية في المقام الأول ضرورة بذل جهدٍ لتوصيف الأطراف الفاعلة الموجودة والمنطق الخاص الذي يحكمهم ونظم العلاقات التي تتشكل بينهم. يتعلق الأمر بدايةً، بالإجابة على السؤال الدارج بخصوص معرفة من يمول ماذا، وبالتالي التساؤل حول الطلب (الاجتماعي أو السياسي) في العلوم الاجتماعية ضمن "سوق" الخدمات الفكرية" (غرانييه وولد فرحات وتوبوا، 2018). يمكن أن يتعلق الأمر بشكل خاص بالدور الذي تؤديه الدولة أو المنظمات الدولية أو الأحزاب السياسية أو منظمات المجتمع المدني في إنتاج المعارف، بالإضافة للتحالفات غير المعلنة بينها (ريموند، كاتوس، حنفي، 2021). في العالم العربي كما في أمكنة أخرى، يخضع البحث "لنظام مراقبة" (الدران، فورنييه، جيسر، ميرمان، 2022) دمجاً للتأثير الإداري، ورقابة عبر الخدمات الأمنية، ومتابعة رقمية وممارسات ورقابة وضبط ذاتي.

ممارسات، مناهج، أولويات: كيف تتم صناعة البحث في العلوم الاجتماعية في العالم العربي؟

للاقتصادات السياسية التي يحتكم لها البحث العلمي اليوم أثارها على هرمية الأغراض البحثية بالإضافة لآثارها على الممارسات والمناهج المتبعة من قبل الباحثين. بإمكان المداخلات الاهتمام بجوانب تعريف الأجندة العلمية وطرق تأطير الأسئلة البحثية (بورديو، 2001)، للإضاءة على الصراعات السياسية التي تتخلل هذه العملية. كيف تأثرت أولويات البحث في العالم العربي، على سبيل المثال تحت "أثر المقترحات"، البروبوزال" (كوري - أدلر، أرفانتييس، حنفي، 2018) الموجهة للمولين الدوليين وأثر ذلك على إدراج بعض المواضيع في الأجندة البحثية وأولوياته. يمكن أيضاً مساءلة تعدد طرق ممارسة البحث. وفق السياق المهني والسياسي الذي يعمل به الباحثون، ما هي التحولات التي نستطيع مشاهدتها في ممارسات البحث الميداني، والتحليل، والكتابة؟ بإمكان المداخلات التنبه لموضوع "تنقل" ممارسات وبراديجمات (طرق التصور) البحث (كيلين، 2010)، بوضع تحليل السياق الوطني ضمن إطاره في سوق عالمي للمعارف يتصف بعلاقات غير متكافئة. جانب آخر يمس أخيراً التنافس على مناهج البحث والذي يكشف الصراعات السياسية بين الفاعلين على تعريف ما هو علمي وما هو غير ذلك. أمام مثل هذه التأثيرات على أبحاث قصيرة الأمد، تتضمن "المشاركة" أو لها "أثر" أكبر، ما هي التغييرات التي يمكن ملاحظتها في علاقة الباحثين مع ميادينهم البحثية وادواتهم بالإضافة للزمنية المتعلقة بالبحث الميداني ودور المبحوثين فيه.

مسارات الباحثين الاجتماعية ومساراتهم المهنية وتموضعهم الاجتماعي: من ينتج البحث في العالم العربي؟

تتعلق مجموعة أخيرة من الأسئلة بالفاعلين المنتجين للمعرفة، مع تركيز الاهتمام على مساراتهم الاجتماعية، بناتهم للمسارات المهنية وتنقلاتهم بين مختلف الحقول. يتعلق الأمر هنا بالتركيز على تعدد المسارات الاجتماعية للباحثين من أجل تجاوز المفارقة والتمييز الجذري بين صورة الباحث والخبير. ما هي أشكال المسارات المهنية للباحثين في العالم العربي؟ وماذا تقول مثل هذه المسارات عن المنطق الذي يتخلل هذا القطاع (مسار بعيد دولي، غياب الامن الوظيفي، مسار باتجاه القطاع الخاص)؟ تستطيع المساهمات التركيز على السؤال الهام حول استقلالية الباحثين ضمن المعوقات البنوية والتي تنقل كاهل مساراتهم المهنية. كيف تتشكل المسارات الاجتماعية للباحثين بين حقل الجامعة والخبرة وعالم المنظمات غير الحكومية والجمعيات والعالم السياسي؟ ما هي الاستراتيجيات التي يتبناها الباحثون الجامعيون من أجل الحفاظ على استقلاليتهم ومنافستهم العلمية؟ نهاية، يمكن أن تسائل المشاركات المقترحة الاقتصاد الأخلاقي للبحث وعلاقته باقتصاده السياسي: ضمن سياق التسليع المتزايد للنشاط العلمي، ما الذي يبقى من التحفيزات والمنافع التي تنتج من "المنفعة في عدم الاهتمام" (بورديو، 2001) الخاصة بالحقول العلمية؟ أي أشكال جديدة ضمن هذه التشكيلات الاجتماعية والمؤسساتية يمكن أن يتخذها الانتماء السياسي أو الاجتماعي للباحث؟ هل تحكم الاقتصادات السياسية للبحث هذه بالضرورة الطموح النقدي للعلوم الاجتماعية، وبأي طريقة يمكن أن يتجلى مثل هذا الطموح؟

الجدول الزمني وشكل الحلقات الدراسية

سيتم عقد الحلقات الدراسية عبر الانترنت بداية من شهر كانون الثاني الى كانون الأول من العام 2023، مرة واحدة كل شهر لمدة ساعة ونصف تدور حول مداخلتها ما يقارب الـ ٤٥ دقيقة يتبعها نقاش. لغة العمل ستكون العربية والفرنسية والانجليزية. ستعطي الأولوية للمداخلات المبنية على بحث ميداني لحالة خاصة بعينها والمتضمنة لمنهجية نقدية. نتوقع ان يؤطر الباحثون مداخلاتهم ضمن إطار نظري رصين عبر الإجابة على أي من المحاور السابقة للحجة الأكاديمية المقدمة أعلاه، وان يبعثوا للمنظمين بشكل مسبق نسخة غير نهائية لمداخلاتهم وذلك ضمن تصور يهدف الى نشر المداخلات بشكل جماعي بعد الانتهاء من الحلقات الدراسية جميعها.

Références bibliographiques

- Aldrin Philippe, Fournier Pierre, Geisser Vincent, Mirman Yves, 2022. *L'enquête en danger. Vers un nouveau régime de surveillance dans les sciences sociales ?*, Paris, Armand Collin.
- Bamyeh Mohammed, 2015. *Social Sciences in the Arab World. Forms of Presence*, First Report by the Arab Social Science Monitor, Beirut, Arab Council for the Social Sciences.
- Bayart Jean-François, 2013. « Faire des sciences sociales », in M. Hunsmann, S. Kapp (dir.), *Devenir chercheur. Ecrire une thèse en sciences sociales*, Ed. de l'EHESS, Paris, p.333-348.
- Bourdieu Pierre, 2001, *Science de la science et réflexivité*, Paris, Raisons d'agir.
- Chamblard Olivia, 2020, *Business Model. L'Université, nouveau laboratoire de l'idéologie entrepreneuriale*, Paris, La Découverte.
- Currie-Alder, Bruce, Rigas Arvanitis, et Sari Hanafi, 2018. « Research in Arabic-speaking countries: Funding competitions, international collaboration, and career incentives ». *Science and Public Policy*, vol. 45, n° 1, <https://doi.org/10.1093/scipol/scx048>.
- Duval Julien, et Heilbron Johan, 2006. « Les enjeux des transformations de la recherche ». *Actes de la recherche en sciences sociales*, vol. 164, n° 4, p. 5-10.
- Granier François, Laurence Ould-Ferhat, et Pascal Thobois, 2018. « Où en est la demande sociale de sociologie aujourd'hui ? », *Sociologies pratiques*, vol. 36, n° 1, p. 1-8.
- Hanafi Sari, Arvanitis Rigas, et, 2015. *Al-bahth al-`arabî wa mujtama al-ma`rifa. Ru'ya naqdiyya jadîda* [La recherche arabe et la société de la connaissance. Nouvelle approche critique], Beyrouth, Center for Arab Unity Studies.
- Kabbanji Jacques, 2010. *Rechercher au Liban. Communautés scientifiques, chercheurs et innovation (état des lieux en sciences sociales)*, Beyrouth, Centre de recherches de l'Institut des Sciences Sociales (Université Libanaise).
- Kleiche Mina, Dumoulin Kervran David et Quet Mathieu, 2017. « Les STS ont-elles un Sud ? Penser les sciences dans/avec les Suds », *Revue d'anthropologie des connaissances*, vol. 11, n° 3, p. 423-454.
- Kienle Eberhard (dir.), 2010. *Les sciences sociales en voyage. L'Afrique du Nord et le Moyen-Orient vus d'Europe, d'Amérique et de l'intérieur*, Paris, Karthala / IREMAM.
- Raymond Candice, Catusse Myriam, Hanafi Sari, 2022. *Un miroir libanais des sciences sociales. Acteurs, pratiques et disciplines*, Marseille, Diacritiques Éditions.
- Roy Olivier, 2001. « Les islamologues ont-ils inventé l'islamisme ? », *Esprit*, n° 277 (août-septembre 2001), p. 116-138.